شهر رمضان شهر الفرص المباركة



شهر رمضان شهر الفرص المباركة

2008-08-27

بسم ا[الرحمن الرحيم

كان الرسول الأعظم (صلى ا□ عليه وآله وسلم) إذا أقبل شهر رمضان يدعوا الناس إلى التهيّؤ والاستعداد لاستقبال هذا الشهر العظيم والمبارك، فيقول: {قد أقبل إليكم شهر ا□ بالبركة والرحمة}. إذ تشير إحدى الروايات أنه (صلى ا□ عليه وآله وسلم) كان في خطبة الجمعة الأخيرة من شهر شعبان يرُنبّه الناس للإستعداد لاستقبال شهر رمضان المبارك قائلاً: (قد أقبل إليكم شهر رمضان). وإذا ما أردنا أن نعر ّف شهر رمضان المبارك بجملة واحدة فإنسّنا نقول: هو شهر الفرص؛ لرِمَا يحمله هذا الشهر المبارك من فرص كثيرة لي ولكم، فإذا ما اغتنمنا هذه الفرص فإننا سنتزو ّد بكثير من الصفات والبركات العظيمة. لذا فإنني سأخصص الخطبة الأولى لتوضيح هذا الموضوع والتحد ّث باختصار عن بركات شهر رمضان وما يحمله من فرص عظيمة.

قال الرسول الأكرم(صلى ا∏ عليه وآله وسلم) في خطبته التي أشرنا إليها عن شهر رمضان: (شهر دعيتم فيه إلى ضيافة ا∏) وهي جملة تحتاج في حدّ ذاتها إلى تدبّر وتأمل.

فا□ تعالى لم يجبر جميع الناس على الاستفادة من هذه الضيافة، بل جعلها فريضة علينا لكنه تركنا مختارين في الاستفادة من هذه الضيافة أم لا. إذ لا يجد البعض فرصة للاهتمام بهذه الضيافة؛ لغفلتهم وانغماسهم في أهوائهم الدنيوية والمادية إلى درجة أن "شهر رمضان يمر " عليهم دون أن يشعروا به، شأنهم في ذلك شأن من ي ُدعى إلى ضيافة كثيرة الخير والبركة لكنه لا يجد فرصة حتى للنظر في بطاقة الدعوة، فمثل هؤلاء يخرجون من هذه الضيافة خالي الوفاض تماما ً.

البعض الآخر يعلم بهذه الضيافة لكنهم لا يذهبون إليها، وهم مَن° حرمهم ا□ من لطفه وعنايته, فلم يصوموا هذا الشهر المبارك دون عذر شرعي، أو أنهم لم يوف ّقوا لتلاوة القرآن أو الاستفادة من أدعية هذا الشهر المبارك، وجزاء من لا يذهب إلى هذه الضيافة معلوم.

أما أغلب المسلمين _ أمثالنا _ فإنّنا نلبّي هذه الدعوة لكننا نتفاوت في مقدار ما نستثمره منها، إذ يغتنم بعضنا هذه الفرصة فيستفيد منها بأكبر قدر ممكن.

ولعلّ ترويض النفس لتحمّل الصيام ومشقّة الجوع والعطش، أهم ما نستفيد من هذه الضيافة الإلهية؛ لـِمـَا يحمله الصيام من بركات وصفات معنوية تزيد الإنسان إيمانا ً ونورا ً.

فالبعض يصوم هذا الشهر الفضيل ويستفيد من هذه الضيافة الإلهية، لكنهم وإضافة إلى ما يجنونه من بركات هذا الصيام، فإنهم يغذ ون أنفسهم بتلاوة القرآن الكريم بتدبير وتأمل في أيام وليالي هذا الشهر المبارك؛ لرم َا تحمله هذه التلاوة في حالة الصيام والانقطاع إلى ا□ والأنس بالقرآن ومخاطبة الحق تعالى في ليالي هذا الشهر الفضيل من لذ ّة تفوق أي لذة أخرى يمكن أن يتذوقها الإنسان من تلاوة القرآن في الأيام والليالي العادية.

كما يستفيد الصائمون أيضا ً من مخاطبة ا□ تعالى والتضرع والدعاء إليه وكشفهم لمكنونات النفس وأسرار القلب, من خلال أدعية شهر رمضان، كدعاء أبي حمزة الثمالي وأدعية الأيام والليالي وأدعية السحر فإنها كلام مع ا□ تعالـد؛ لأن التضرع إلى ا□ والطلب منهم يُعد ّ تقر ّبا ً لذاته المقدسة، من هذا تتضح المكاسب التي يمكن أن يجنيها الصائم من هذه الضيافة الإلهية.

أما أهم الأعمال في هذا الشهر المبارك فهو اجتناب الذنوب، إذ نجد في نفس الخطبة التي أشرنا إليها أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يسأل الرسول الأعظم(صلى ا□ عليه وآله وسلم) عن أفضل الأعمال في شهر رمضان، فيجيب الرسول (صلى ا□ عليه وآله وسلم): (الورع عن محارم ا□).

فاجتناب الذنوب والورع عن المحارم مقدمة على جميع الأعمال الحسنة؛ لـِمـَا يؤديه ذلك من تطهير للنفس وصفاء للقلب.

إذن في هذا الشهر المبارك، صيام، وتلاوة قرآن ودعاء وذكر، واجتناب للذنوب، وكل هذه الأعمال تقرّب الإنسان من كماله الأخلاقي الذي يدعو إليه الإسلام؛ لأنها تطهّر قلب الإنسان من الضغينة والحقد وتحيي في نفسه روح التضحية والفداء، والأخذ بأيدي المحرومين والضعفاء، وتدفع الإنسان إلى الإيثار في الأمور المادية، لذا فإننا نرى أنّ الجريمة تقلّ كثيرا ً في شهر رمضان، وتزداد أعمال الخير وتسود المحبة بين أفراد المجتمع أكثر من أي وقت آخر، وليس هذا إلاّ ببركة هذه الضيافة الإلهية.

فالبعض إذا ً يستفيد من هذا الشهر المبارك إلى أقصى حد " ممكن، بينما البعض الآخر يستفيد من شيء لكنه يحرم نفسه من شيء آخر؛ لذا يجب على جميع المسلمين الاستفادة القصوى من بركات هذه الضيافة الإلهية وطلب رحمة ا□ ومغفرته، ولا يحصل ذلك إلا " بالاستغفار لذا فإني أؤكد على الاستغفار؛ الاستغفار من الذنوب, والاستغفار من الخطايا, والاستغفار من الانحراف، سواء كانت من الكبائر أو الصغائر.

فمن المهم أن نطه ّر قلوبنا ونفوسنا من الرذائل والذنوب والأحقاد، ولا يحصل ذلك إلا ّ بالاستغفار، لذا نجد في كثير من الروايات التأكيد عليه واعتباره أهم الأدعية.

إن طلب مغفرة ا□ تعالى هو نوع من الاستغفار، حتى أن النبي (صلى ا□ عليه وآله وسلم) كان يستغفر ا□ كثيراً. فالاستغفار لأمثالنا هو استغفار من الذنوب المتعارفة وما تفرزه رغباتنا الحيوانية وأهوائنا النفسية وهي ذنوب واضحة. في حين يستغفر بعض الناس ليس من هذه الذنوب المتعارفة بل من ترك الأولد؛ أما البعض الآخر من الأفراد فإنهم لا يتركون الأولى، لكنهم يستغفرون أيضا ً, وهذا الاستغفار هو استغفار لقصورهم الذاتي والطبيعي في قبال ذات ا□ المقدسة. وهناك استغفار من عدم المعرفة الكاملة □ تعالى، وهو استغفار الأولياء والصالحين.

إذا ً، يجب علينا الاستغفار، وأهم ما نستفيده من هذا الاستغفار هو الابتعاد عن غفلة النفس، إذ إننا كثيرا ً ما نرتكب الأخطاء بحق أنفسنا، وعندما نستغفر ا تعالى من الذنوب والخطايا تتجسّم أمام أعيننا جميع هذه الذنوب وكل ما ارتكبناه من خطايا واتسّباع لأهواء النفس، وتجاوز لحدود ا وظلم لأخرين، مما يُبسّعدنا عن غرور النفس والغفلة عنها. كما أن ّ ا تعالى قد وعد الناس بقبول التوبة والاستغفار إذا كان حقيقيا ً نابعا ً من صميم القلب، إذ قال: $\{L_{\bar{e}}, \bar{e}, \bar{e}\}$ اللّه \bar{e} المتغفار عنها وبالتالي فهو المتغفار حقيقي يقبله ا تعالى.

واعلموا أن° لا فائدة من الاستغفار عندما يكون مجرد لقلقة لسان, كأن يردد الإنسان: استغفر ا[، استغفر ا]، وفكره وحواسه في مكان آخر، بل لابد أن يكون الاستغفار حقيقيا ً؛ لأنه نوع من الدعاء والطلب من ا[تعالى، وبالتالي يجب أن يكون طلب الرحمة والمغفرة من ا[حقيقيا ً مع الخضوع والتضرع, كأن يقول الإنسان: إلهي لقد أذنبت فاغفر لي وارحمني، وهذا الاستغفار سيتبعه حتما ً مغفرة ا[ورحمته؛ لأن ا[قد جعل باب التوبة والاستغفار مفتوحا ً لجميع الناس.

وقد منع الإسلام الإقرار بالذنب والاعتراف به أمام الآخرين، كما هو الحال في بعض الأديان التي تدعوا الناس الى الاعتراف بذنوبهم أمام رجال الدين أو القسيس مثلاً؛ لأن الإسلام لا يرى فائدة في كشف الأسرار والاعتراف بالذنوب أمام الآخرين، إذ يعتقد أن ا □ هو الوحيد القادر على غفران الذنوب وقبول التوبة لا القسيس ولا أي شخص آخر كما هو الحال في بعض الأديان الواهية المحر ّفة.

فالآية الكريمة تقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَّلَاَمُوا ْ أَنفُسَهُمْ ْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغَفْفَرُوا ْ اللَّهَ وَاسْتَغْفُرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا ْ اللَّهَ تَوَّاابًا رَّحَيِمًا}}(2). أي أنَّ الرسول(صلى ا□ عليه وآله وسلم) لا يغفر الذنوب بل يستغفر لهم الله؛ لأنه الوحيد القادر على غفران الذنوب.

إذا ً، لا تغفلوا عن الاستغفار في هذا الشهر المبارك خاصة في الليالي ووقت السحر؛ لـِمـَا لذلك من

مكانة عظيمة عند ا□ تعالى، واهتم وا بقراءة الأدعية وتدبروا معانيها أيضا ً.

الحمد □ أن مجتمعنا مجتمع معنوي، يكثر الدعاء والتوسل والابتهال الى □ بين أفراده، ويستأنس شبابه بذكر □، وهذه من الفرص العظيمة التي يجب الاستفادة منها. كما أن شهر رمضان المبارك هو أحد الفرص التي منحها □ إيّانا؛ لذا علينا الاستفادة منها الى أقصى حد ممكن، بأن تتقرّب القلوب الى □، وتتطهّر بالاستغفار والتوبة، ونتوسل الى □ لقضاء حوائجنا. فهذا الارتباط المعنوي بين شعبنا و□ تعالى قد حقق لنا الكثير من المنجزات والمكاسب العظيمة، وشهر رمضان إحدى الفرص لتوثيق هذا الارتباط، فعلينا اغتنامها والاستفادة منها.

أسأل ا□ تعالى أن يوفق الجميع في هذا الشهر المبارك حتى تتغلب صفاتنا الملائكية على غرائزنا الحيوانية، إذ نمتلك جميعا ً نوعين من الصفات: إحداهما ملائكية, وأخرى مادية وحيوانية، حيث تتغلب الصفات المادية على صفاتنا الملائكية عند النزوع الى أهوائنا النفسية.

وإن شاء ا□ نتمكن في شهر رمضان من تقوية صفاتنا الملائكية والمعنوية؛ حتى تتغلب على صفاتنا المادية، ونجعل من شهر رمضان تمرينا ً معنويا ً يفيدنا طيلة أيام السنة.

⁽¹⁾ سورة النساء: 64.

⁽²⁾ سورة النساء: 64.